الأمم المتحدة

الأمين العام

كلمة الأمين العام أمام الجمعية العامة

نيويورك، 19 أيلول/سبتمبر 2006

سيدتي الرئيسة،
أصحاب السعادة،
السيدات والسادة،

حينما تحدثت إليكم من هذه المنصة لأول مرة في عام 1997 بدا لي أن البشرية تواجه حينذاك ثلاثة تحديات جسام.

أولها، كفالة استفادة أبناء البشر كافة من العولمة، وليس المحظوظين منهم فقط.

وثانيها، معالجة الاضطرابات التي تلت نهاية الحرب العالمية الباردة، والاستعاضة عنها بنظام عالمي يقوم بالفعل على السلام والحرية، على النحو المنشود في الميثاق.

وثالثها، حماية حقوق وكرامة الأفراد، وخاصة المرأة، التي ديست على نطاق واسع جدا.

وبصفتي ثاني شخص من أفريقيا يشغل منصب الأمين العام، شعرت بأن هذه التحديات الثلاث كلها - تحدي الأمن؛ وتحدي التنمية؛ وتحدي حقوق الإنسان وسيادة القانون - تعنيني بشكل مباشر.

فأفريقيا كانت تواجه بدرجة كبيرة خطر الاستبعاد من جني فوائد العولمة - بل واجهت في الواقع خطر تركها مهملة على هوامش الاقتصاد العالمي.

كما شهدت أفريقيا بعضا من أطول النزاعات وأشدها وحشية.

واعتقد العديد من الأفارقة أنه قد كُتب عليهم ظلما أن يتعرضوا للاستغلال والقهر، جيلا بعد جيل، حيث أعقب زوال الحكم الاستعماري نظام اقتصادي جائر على الصعيد العالمي، وأحيانا حكام وزعماء حرب فاسدون على الصعيد المحلي.

وفي العقد الذي انقضى منذ ذلك الوقت، ناضل العديد من الناس لمواجهة هذه التحديات العالمية الثلاثة. وتم تحقيق الكثير، لكن أحداثا أخرى جلبت لنا أيضا تحديات جديدة - أو بالأحرى أعطت التحديات القديمة شكلا جديدا، أو جعلتها أكثر حدة.

ففي الميدان الاقتصادي، تواصلت مسيرة العولمة والنمو العالمي بخطى حثيثة.

وقام بعض البلدان النامية، في آسيا على وجه الخصوص، بدور كبير في تحقيق هذا النمو. وتحررت بذلك ملايين عديدة من سكان هذه البلدان من ربقة الفقر الدائم.

وفي غضون ذلك، وعلى صعيد السياسة الإنمائية، تقدم النقاش وانتقل من النماذج المتنافسة إلى طور الأهداف المتفق عليها. ويقر العالم الآن بأن فيروس نقص المناعة البشرية/متلازمة نقص المناعة المكتسب (الإيدز) يشكل تحديا رئيسيا أمام التنمية، وبدأ في التصدي له. وإنني فخور بالدور الذي قامت به الأمم المتحدة في هذا المضمار. فقد باتت التنمية، والأهداف الإنمائية للألفية، تحظى الآن بمكان الصدارة في جميع الأنشطة التي نضطلع بها.

لكن ينبغي ألا نوهم أنفسنا. فالمعجزة الآسيوية لم تستنسخ بعد في أنحاء أخرى من العالم. وحتى في داخل أكثر البلدان الآسيوية حيوية، لا تُقتسم فوائدها بإنصاف حتى الآن.

وللسبب نفسه، ليس من المرجح أن تتحقق الأهداف الإنمائية للألفية في كل مكان بحلول عام 2015.

وصحيح أن ماهية الحكم الرشيد وأهميته باتا مفهومين بشكل أفضل الآن في العديد من البلدان النامية. لكن الكثير منها لا يزال يعوزه تطبيق هذا الحكم على مستوى الممارسة.

وصحيح أنه تم إحراز تقدم في مجال التخفيف من عبء الديون وهناك وعود مشجعة بتقديم المعونات وضخ الاستثمارات، لكن ''الشراكة العالمية من أجل التنمية'' لا تزال شعارا أكثر مما هي واقع فعلي - وبخاصة في مجال التجارة الذي يكتسي أهمية بالغة.

أصدقائي، إن العولمة ليست موجة تدفع بكل القوارب إلى الإبحار. فحتى من بين من تشير الإحصاءات إلى أنهم يستفيدون منها، ينتاب العديد منهم شعور عميق بعدم الأمان. ويشعرون باستياء شديد إزاء حالة الرضا عن الذات الجلية لدى من هم أكثر حظا.

العولمة إذن، التي ينبغي من الناحية النظرية أن تقرب بيننا جميعا، إنما تنطوي في الواقع على خطر إبعادنا عن بعضنا البعض.

هل نحن أكثر أمنا الآن من التحدي الثاني - أي ويلات الحروب؟

مرة أخرى، هناك إحصاءات تشير إلى تحسن الأمور. فالصراعات بين الدول أقل عددا مما كانت عليه، كما انتهى العديد من الحروب الأهلية.

وهنا أيضا، أشعر بالفخر بالدور الذي قامت به الأمم المتحدة. وإنني فخور بما أنجزه إخواني الأفارقة بصدد إنهاء العديد من الصراعات التي شوهت وجه قارتنا.

لكن هنا أيضا ينبغي ألا تتملكنا الأوهام.

ففي العديد من مناطق العالم - ولا سيما العالم النامي، لا يزال الناس عرضة لصراعات وحشية تُستخدم فيها أسلحة صغيرة، لكنها فتاكة.

ويهدد انتشار أسلحة الدمار الشامل الناس في جميع أنحاء العالم - رغم أن بعضهم أكثر إدراكا لخطورتها من غيره. ومما يندى له الجبين أن الوثيقة الختامية لمؤتمر القمة العالمي الذي عقد في العام الماضي لم تتضمن ولو كلمة واحدة عن عدم الانتشار ونزع السلاح، وهو ما كان يرجع أساسا إلى أن الدول لم تستطع الاتفاق على اختيار أي من هذين المجالين ينبغي أن يُعطى الأولوية. وقد حان الوقت لإنهاء هذا الخلاف، والإقدام على النهوض بالمهمتين معا بالسرعة المطلوبة.

وعلاوة على ذلك، وكما أن بعض المستفيدين من العولمة قد يشعرون بأنها تنذر بالخطر لهم، فإن العديد ممن تشير الإحصاءات إلى أنهم في مأمن من الصراع أكثر من غيرهم، لا يشعرون بالأمان.

ومرد ذلك إلى الإرهاب. فرغم أنه يقتل أو يشوه أناسا قليلين نسبيا، قياسا إلى أشكال العنف الأخرى، إلا أنه ينشر الخوف والشعور بعدم الأمان في أوساط العديدين. وبالمقابل، يؤدي هذا بالبعض إلى الالتئام مع من يشاطرونهم معتقداتهم أو أسلوب حياتهم، وينبذون من يبدون ''غرباء'' عنهم.

وهكذا وفي الوقت الذي جلبت فيه الهجرة الدولية الملايين من ذوي العقائد أو الثقافات المختلفة للعيش كمواطنين، أخذت المفاهيم الخاطئة والقوالب النمطية التي تقوم عليها فكرة ''صراع الحضارات'' تنتشر على نطاق واسع؛ ويستغل من يتوقون على ما يبدو إلى إشعال حرب دينية جديدة، على صعيد عالمي هذه المرة، الافتقار إلى الحساسية بشأن معتقدات الآخرين أو رموزهم المقدسة، عمدا أو عن غير قصد.

وعلاوة على ذلك، يغذي العنف في الشرق الأوسط على الدوام هذا المناخ من المخاوف والشكوك.

وربما نرغب في تصور الصراع العربي - الإسرائيلي، باعتباره مجرد واحد من الصراعات الإقليمية. لكنه ليس كذلك. فليس هناك صراع مفعم بمثل هذه الشحنات الرمزية والعاطفية القوية بين أناس بعيدة عن ميدان المعارك.

وما دام الفلسطينيون يرزحون تحت نير الاحتلال، ويتعرضون يوميا للحرمان والإذلال؛ وما دام الإسرائيليون يُقجرون في الحافلات أو المراقص، ستظل المشاعر التي تجيش في النفوس مُتَقِدة في كل مكان.

فمن جهة، يعتقد أنصار إسرائيل أنها تخضع لمعايير مشددة لا تُطبق على أعدائها - وهذا صحيح في كثير من الحالات، وبخاصة في بعض هيئات الأمم المتحدة.

ومن جهة أخرى، يشعر آخرون بالاستياء الشديد إزاء استخدام القوة غير المتناسب ضد الفلسطينيين، وإزاء استمرار إسرائيل في احتلال الأراضي العربية ومصادرتها.

وما دام مجلس الأمن غير قادر على إنهاء هذا الصراع، ووضع حد لاحتلال دام نحو 40 عاما الآن بحمل الطرفين على قبول قراراته وتنفيذها، سيظل احترام الأمم المتحدة يتآكل. كما سيظل حيادنا موضع شك أيضا. وسيظل أفضل ما نبذله من جهود لحل الصراعات الأخرى يلقى المقاومة، بما في ذلك الصراعات في العراق وأفغانستان، اللذين يحتاج شعباهما إلى مساعدات ماسة يستحقانها. وسيجد موظفونا المتفانون الشجعان أنفسهم عرضة لموجات الغضب والعنف الناتجة عن سياسات لا يتحكمون فيها ولا يناصرونها، بدلا من أن يتمتعوا بحماية الراية الزرقاء.

لكن ماذا عن التحدي الكبير الثالث الذي تواجهه الإنسانية - تحدي سيادة القانون، وحقوقنا وكرامتنا كبشر؟ لقد أحرز في هذه المضمار أيضا تقدم كبير.

فقد كُرس المزيد من الحقوق في المعاهدات الدولية - وهذه الجمعية العامة على وشك تدوين حقوق جماعة تحتاج إلى ذلك بوجه خاص: إنهم الأشخاص الذين يعانون من العجز والإعاقة.

وهناك اليوم مزيد من الحكومات التي ينتخبها ويسائلها المحكومون.

وقد تمكنت البشرية عمليا من إحالة بعض مرتكبي أفظع الجرائم ضدها إلى العدالة.

وأعلنت هذه الجمعية العامة رسميا، حينما اجتمعت قبل عام على أرفع مستوى، مسؤولية كل دولة بالدرجة الأولى، والمجتمع الدولي بأكمله في آخر المطاف، من خلال الأمم المتحدة - عن "حماية السكان من الإبادة الجماعية وجرائم الحرب والتطهير العرقي والجرائم ضد الإنسانية".

ومع ذلك، [لحظة صمت] ومع ذلك.

تصل إلينا يوميا تقارير عن خرق جديد للقوانين، وعن جرائم وحشية جديدة يتعرض لها أفراد وجماعات أقلية.

بل أن النضال الضروري والمشروع حول العالم ضد الإرهاب يُتخذ أيضا ذريعة لتقليص أو إلغاء حقوق الإنسان الأساسية، مما يخلي الساحة الأخلاقية للإرهابيين ويساعدهم على إيجاد مجندين جدد.

وللأسف يأتي التحدي الأكبر مرة أخرى من أفريقيا - من دارفور، حيث من شأن استمرار مشهد إخراج رجال ونساء وأطفال عنوة من ديارهم، من خلال القتل والاغتصاب وحرق قراهم، الاستخفاف بزعمنا، كمجتمع دولي، حماية الناس من أسوأ الاعتداءات.

وباختصار، سيدتي الرئيسة، فإن أحداث السنوات العشر الأخيرة لم تؤد إلى حل التحديات الجسام الثلاث التي تحدثت عنها - الاقتصاد العالمي غير العادل، والاضطراب العالمي، والازدراء واسع النطاق لحقوق الإنسان وسيادة القانون - بل زادت من حدتها. ونتيجة لذلك، فإن أمامنا عالما تهدد انقساماته ذات مفهوم المجتمع الدولي نفسه الذي تقوم عليه هذه المؤسسة.

ومع ذلك، يحدث هذا في ذات الوقت الذي أصبح البشر في جميع أنحاء العالم يشكلون أكثر من ذي قبل مجتمعا واحدا. ويكتسي الكثير من التحديات التي نواجهها طابعا عالميا. وهي تقتضي استجابة عالمية تقوم فيها كل الشعوب بدورها.

وأقول قصدا "كل الشعوب"، لأكرر ما ورد في ديباجة الميثاق، وليس "كل الدول". فقد كان واضحا لي قبل عشر سنوات، بل وبات أكثر وضوحا لي الآن، أن العلاقات الدولية ليس مسألة تخص الدول فقط، فهي علاقات بين شعوب، يؤدي فيها ما يسمى "الجهات من غير الدول" دورا حيويا، ويمكنها أن تقدم إسهامات حاسمة. ويتعين على الجميع القيام بدوره في نظام عالمي متعدد الأطراف حقا، تكون محوره أمم متحدة متجددة وحيوية.

نعم، ما زلت أعتقد أن الحل الوحيد لهذا العالم المنقسم إنما يكمن في وجود أمم متحدة بالفعل. فتغيرات المناخ، وفيروس نقص المناعة البشرية/الإيدز، والتجارة العادلة، والهجرة، وحقوق الإنسان - كل هذه المسائل، وغيرها كثير، ترجعنا إلى هذا الاستنتاج. ولا بد من معالجة كل مسألة من هذه المسائل الهامة لكل واحد منا في قرانا، وبين جيراننا، وفي بلداننا، غير أنها اكتسبت جميعها أبعادا عالمية، ولم يعد بالإمكان التصدي لها إلا بعمل عالمي يتم الاتفاق عليه وتنسيقه من خلال هذه المؤسسة التي هي أكثر المؤسسات المطبوعة بطابع العالمية.

ما يهم هو أن يتفق القوي، وكذلك الضعيف، على الالتزام بنفس القواعد، وأن يُكِّن كل واحد للآخر نفس الاحترام.

وما يهم أيضا هو أن تتقبل كل الشعوب ضرورة أن يستمع كل منها للآخر؛ وأن يتوصلوا إلى حلول وسط؛ وأن يراعي كل جانب آراء الجانب الآخر.

وما يهم كذلك أن تأتي معا، لا بأهداف متعارضة بل بهدف مشترك: [لحظة صمت] تشكيل مصيرها المشترك.

ولا يمكن أن يحدث هذا إلا إذا ربط الشعوب معا ما هو أكثر من مجرد سوق عالمية، أو حتى مجموعة من القواعد العالمية.

فعلى كل واحد منا أن يشارك الألم الذي يحس به كل مَن يعانون، وأن يشاطر الفرح الذي يغمر كل من يأملون، أينما كانوا في العالم.

وعلى كل واحد منا أن يكسب ثقة إخوانه من الرجال والنساء، أيا كان عنصره أو لونه أو عقيدته، وأن يتعلم أن يثق بهم بدورهم.

هذا هو ما آمن به مؤسسو هذه المنظمة. وهذا هو ما أؤمن به. وما تريد أن تؤمن به الغالبية العظمى من سكان هذا العالم.

وهذا هو الذي حفز في العقد الماضي المشحون بالأحداث على إجراء الإصلاحات وظهور أفكار جديدة بشأن الأمم المتحدة. فقد انتقلت من حفظ السلام إلى صنع السلام، ومن حقوق الإنسان إلى التنمية والإغاثة الإنسانية، ثم حالفني الحظ، فأصبحت رئيسا للأمانة - ولموظفيها الرائعين المتفانين في الخدمة - في وقت كانت طموحاتكم بشأن المنظمة تبدو بلا حدود أحيانا، رغم أن إسهاماتكم المالية كانت دون ذلك.

وقد لمست مرة أخرى في الأسابيع القليلة الماضية، وأنا أنتقل من بلد إلى آخر في الشرق الأوسط، مدى شرعية الأمم المتحدة واتساع دائرة إشعاعها. وقد ذكّرنا دورها الذي لا غنى عنه في تأمين السلام في لبنان بمدى قوتها إذا ما أراد لها الجميع النجاح.

سيدتي الرئيسة، أصحاب السعادة، الأصدقاء الأعزاء:

هذه هي آخر مرة أتشرف فيها بتقديم تقريري السنوي إلى الجمعية العامة. دعوني اختتم بتوجيه الشكر لكم جميعا للسماح لي بالعمل أمينا عاما خلال هذا العقد المميز.

لقد قمنا سويا برفع بعض الصخور إلى قمة الجبل، بصرف النظر عما انزلق منها وتدحرج إلى أسفله. ولكن هذا الجبل ورياحه المثيرة للنشاط ومنظره المطل على العالم هو أفضل مكان في الأرض.

نعم، لقد كانت فترة عصيبة وزاخرة بالتحدي، ولكنها كانت تعود أيضا أحيانا بما يدعو إلى الراحة بصورة مثيرة. وفي حين أتطلع إلى إراحة عاتقي من عبء هذه الصخور العنيدة في المرحلة القادمة من حياتي، فإنني أعرف أن الشوق إلى الجبل سيعاودني. نعم، سأفتقد ما هو في نهاية المطاف أكثر الوظائف إثارة في العالم. وإنني أخلي مكاني لمن سيشغلونه بعدي والأمل لا يفارقني في مستقبلنا المشترك.

ولكم جزيل الشكر.